قصص العظماء

إسكندر الأكبر

(٢)

حدث مرة أن وصل إلى علم الإسكندر، أن «فيلاتس»، أحد قوّاده المقربين، كشف عن مؤامرة مدبرة لاغتيال الإسكندر، وكتم عنه الخبر يومين؛ فاستدعاه الإسكندر، وسأله عن سبب كتمان الخبر، فأجاب «فيلاتس»: «لقد اتضح جليًا، أن المؤامرة لا وجود لها؛ وأن الأمر أتفه من أن يذكر لكم! ويشغل بالكم!» فتظاهر الإسكندر، بأنه مقتنع بهذا السبب؛ ولكن بعد قليل، أمر بإعدام «فيلاتس» وأبيه؛ «بارمنيو». وكانا من أخلص المقربين إليه.

وحدث مرة أخرى، أن أقام الإسكندر وليمة عامة دعا إليها كثيراً من عظماء رجاله؛ وأخذ الإسكندر، وهو في الوليمة، يشيد بذكر أعماله وانتصاراته؛ ويحسب لنفسه كل الفضل في تأسيس إمبراطوريته المترامية الأطراف؛ جاحداً بذلك فضل أبيه؛ وقوّاده المحنكين؛ وجنوده المدربين، الذين خلقهم له أبوه. فاعترض عليه، كليتس، أحب قوّاده وأخلصهم إليه، قائلا: «يا سيدي! عفواً فلا بدّ من إرجاع بعض الفضل، إلى والدك العظيم، وإلى رجاله المخلصين، الذين حملوا العبء معك!.. والذين كافأتهم بإعدامهم..!»

ولم يطق الإسكندر صبراً على سماع ذلك؛ فأطلق لنفسه العنان في السب والتهديد؛ فرد عليه «كليتس» قائلا: «لا تنس أني أنقذت حياتك في ساحة الوغى! ألا تذكر ذلك الفارسي، الذي كاد يهوي بسيفه على عنقك؛ لولا أني بترت ذراعه، في لمح البصر!! هل نسيت؟!؟ ومع كل ذلك؛ إذا كنت تصم أذنيك، عن سماع الحق؛ فاحر بمجلسك هذا،

أَنْ يَكُونَ مِن عَبِيدٍ ، لاَ مِنْ رِجَالٍ ! »

فَاشْتَدَّ غَضَبُ الإِسْكَنْدَرِ ؛ وَكَادَ يَطِيرُ صَوَابُهُ ؛ وَجَعَلَ يَتَحَسَّسُ جَانِبَيْهِ ، يَلْتَمِسُ خَنْجَرَهُ ! ! لِيَقْطَعَ اللِّسَانَ ، الذِى تَطَاوَلَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ يَكُنْ حَقًّا ! ! وَحَاوَلَ الْحَاضِرُونَ ، أَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَدِيقِهِ الْقَدِيمِ ! ! وَلَكِنَّ الإِسْكَنْدَرَ ؛ وَهُوَ فِى ثَوْرَةِ الْغَضَبِ ؛ اخْتَطَفَ خَنْجَراً مِنْ أَحَدِ الْحَاضِرِينَ ؛ وَهَوَى بِهِ عَلَى صَدِيقِهِ ، فَقَضَى عَلَيْهِ ! وَلَمْ يَكَدِ الإِسْكَنْدَرُ ، يَرَى صَدِيقَهُ « كليتس » مُلْقًى عَلَى الأَرْضِ جُثَّةً هَامِدَةً ؛ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهِ النَّدَمُ وَالْحُزْنُ ؛ فَظَلَّ يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لَمْ يَذُقْ فِى أَثْنَائِهِمَا طَعَاماً وَلاَ شَرَاباً

وَفِى سنة ٣٠٨ قَبْلَ الْمِيلادِ ؛ تَزَوَّجَ الإِسْكَنْدَرُ سَيِّدَةً فَارِسِيَّةً ، قِيلَ إِنَّهَا إِحْدَى بَنَاتِ « دَارِيُس » مَلِكِ الْفُرْسِ .

وَأَرَادَ الإِسْكَنْدَرُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ حَفْلَةِ الزَّوَاجِ فُرْصَةً لِيُعْلِنَ فِيهَا لأَهْلِ الْيُونَانِ أَنَّهُ مِنَ الآلِهَةِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْبَشَرِ ! ! وَقَامَ « أَنَكْسَارِكس » أَحَدُ فَلاَسِفَةِ الْيُونَانِ ؛ فِى الْحَفْلِ ؛ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الإِسْكَنْدَرِ ، قَائِلاً : « يَا أَهْلَ الْيُونَانِ ، إِنِّى أَنْصَحُ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا ، مِنَ الآنَ الرَّجُلَ الَّذِى سَوْفَ تَعْبُدُونَهُ حَتْماً ! بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ ! ! ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ! »

فَاسْتَوْلَى عَلَى السَّامِعِينَ ذُهُولٌ ، فَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَصَاحَ : « كَيْفَ يَكُونُ الإِسْكَنْدَرُ أَعْظَمَ رَجُلٍ فِى الْعَالَمِ ؛ ثُمَّ يَكُونُ فِى الْوَقْتِ نَفْسِهِ ، إِلٰهاً يُعْبَدُ ؟ ! » وَقَدْ أَعْدَمَ هٰذا الرَّجُلُ فِى الْحَالِ ؛

بَعْدَ ذٰلِكَ عَوَّلَ الإِسْكَنْدَرُ عَلَى غَزْوِ الْهِنْدِ وَوَصَلَ إِلَى نَهْرِ « السِّنْدِ » . وَرَفَضَ الْجَيْشُ مُوَاصَلَةَ السَّيْرِ بَعْدَ ذٰلِكَ وَعَبَثاً حَاوَلَ الإِسْكَنْدَرُ إِغْرَاءَ الرِّجَالِ عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ وَالْقِتَالِ ؛ وَحَدَثَ فِى أَثْنَاءِ الزَّحْفِ ، أَنْ نَفِدَ الْمَاءُ مِنَ الْجَيْشِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا قَدَحٌ وَاحِدٌ ! وَطَلَبَ الإِسْكَنْدَرُ مَاءً ، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْقَدَحُ ، وَقِيلَ لَهُ عِنْدَئِذٍ إِنَّهُ لَيْسَ فِى الْجَيْشِ إِلَّا ذٰلِكَ الْقَدْرُ الْيَسِيرُ مِنَ الْمَاءِ ؛ فَأَمْسَكَ الإِسْكَنْدَرُ الْقَدَحَ وَقَذَفَ بِهِ إِلَى الأَرْضِ قَائِلاً : « لَسْتُ بِشَارِبٍ ، فَمَا أَنَا بِأَحْسَنَ مِنْكُمْ ! »

بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَضَعَ الإِسْكَنْدَرُ خُطَّةَ

حربية لغزو بلاد العرب ، ولعله كان يحلم بإمبراطورية واسعة تمتد غربا إلى إيطاليا وأسبانيا وشمال إفريقية . وسار بجيشه إلى « بابل » ليشترك في جنازة صديق له ، قد مات هناك ؛ وفي أثناء الاحتفال بالجنازة ، انكب الإسكندر على الشراب ، فظل ليلتين كاملتين يحتسي الخمر ! وأما أفاق ، لم يستطع أن يحرك عضوا واحدا من جسمه ! لأن الحمى كانت قد أخذته ! ! وظل الإسكندر ، رغم ما به من مرض ، يلقي الأوامر . ويصدر التعليمات ؛ حتى خانته قواه ! ! ففزع الجيش والضباط فزعا شديدا ! على حياة القائد العظيم ! فاندفعوا إلى حيث كان راقدا في انتظار الساعة الأخيرة ! ! فأوما إليهم ؛ أنه يقدر شعورهم ! ! ويحفظ لهم أجمل الذكريات في نفسه ! ! ولفظ الإسكندر نفسه الأخير ؛ بين دموع جنوده وضباطه .

ولفظ الاسكندر نفسه الاخير بين دموع جنوده وضباطه

وهكذا انطفأت شعلة ؛ بعد أن حكمت ١٣ سنة .

ملاحظة

المرجو مراعاة أن تكون جميع المكاتبات الخاصة بالمجلة بالعنوان الجديد الآتي :

صاحب العزة أمين سامي حسونة بك

٢ شارع فشمولي هابدين — مكتب بريد باب اللوق — القاهرة